

كرووزو يكتشف شيئاً ولا يخبر أحداً!

غسان ديبه

«لا تشغل الباك بصاضي الزمان... ولا باتي العيش قبل

الوات...»

عمر الخيام

في نهاية القرن السابع عشر، بنى شخص، لنسّمه روينسون كرووزو، حظيرة كبيرة في إحدى زوايا أراضي الشاسعة في سهوب جنوب لندن، وكان يختفي في أرجائها لأيام عدّة لا يعلم أحد لماذا. كان كرووزو إقطاعياً بالقانون، ولكن هواه لم يكن إقطاعياً؛ فهو ورث كل الأراضي والأقنان من أبيه لأنه الولد البكر، فيما عُرف آنذاك بنظام توريث البكر أو الـ Primogeniture الذي حافظ على الملكية من دون تبديدها عبر الاجيال. كيف حصل ذلك؟ فهي رواية خيالية تستحق السرد في يومنا هذا، بعد كل الحديث عن اكتشاف النفط والغاز في لبنان. فلنرّ ماذا؟

لم يكن قلب كرووزو يوماً مرتاحاً لاحتمال وراثته لأبيه، لأنه عندما أخذه أبوه إلى فلورنسا لتمضية الصيف، قضى معظم وقته، إضافة إلى الجلوس في المقاهي، في مكتباتها يقرأ الرياضيات والفلك. أعجب كرووزو كثيراً بفيبوناكي (Fibonacci) وسلسلته الرياضية الجميلة (0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34...) فرأى فيها بناءً منظماً (Ordered) وأعجبه نظامها، إضافة إلى إمكان التحول إلى أرقام عالية بعد خطوات قليلة. كان كرووزو يلعب بالأرقام، وكان يقارنها بأرقام الحصاد في أراضي أبيه عبر السنين، وكان قد عرف بتلك الأرقام بعد أن أطلعه جابي الاتوات عليها بعد مرض أبيه في شتاء 1691. في دراسته للسلسلة، لامس عندئذ اكتشاف قانون مالتوس، ولكن ذلك لم يكن يهيمه كثيراً. فعلى الرغم من إعجابه بفيبوناكي وعمر الخيام ومعادلاته، إلا أنه كان ميالاً أكثر إلى قوانين الطبيعة.

زار في الطريق برج بيزا المائل (Pisa) وسمع قصص غاليليو ورميه للأجسام عن سطحه. تساءل لماذا يفعل رجل راشد ذلك من دون أي هدف؟ فهو تعود أن كل نشاط جسدي لديه هدف في نظام القتالة، وبالطبع رمي الاحجار من أسطح الابنية لم يكن منها، إضافة إلى أنه قد يعرضك للملاحقة القانونية تحت قوانين التسكع المستشرية في تلك الفترة (vagabond laws). في الصيف التالي ذهب إلى كامبريدج ودرس لبعض الوقت مع إسحق نيوتن، وأراد أن يكون عالماً

طبيعياً وهو يفكر أنه دائماً يستطيع أن يعطي الأراضي إلى أخيه الذي يليه.

عندما ذهب نيوتن للعمل في نظام صك النقد الملكي، ليصبح جلاّد البلاط ضد المزورين والمتلاعبين بأوزان العملة المعدنية، قرر روينسون العودة إلى جنوب لندن ليُعدّ نفسه للورثة الكبيرة. وعندما عاد، أثار فضوله شيء لم يكن قد أعاره اهتماماً من قبل، وهي طاحونة المياه التي تستعمل لطحن محاصيل القمح. بدأ يمضي الوقت في مراقبتها عن تلة قريبة. فما هي المياه تحرك الطاحونة، وهو الآن يعرف سرّها، وهو أمر لم يعلمه أحد من عائلة كرووزو لعشرات السنين. الكل كان يعلم أنها تعمل، أما السبب فلم يكن أحد مهتماً بمعرفته، لا سيد الأرض ولا الأقنان، فهم يريدون جرش القمح لا أكثر ولا أقل.



**الراسمالية اللبنانية توهمنا
بالتخلص من أزمتها المرزومة
باختراع وعود بتدفقات مالية**



إنها الجاذبية". قال كرووزو لأقرب المقرّبين إليه، من دون أن يجذبهم إلى الحديث أكثر من ذلك. فقرر بناء الحظيرة قرب الطاحونة، وبدأ بالتفكير كيف يغيّر عمل الطاحونة بحيث لا تعتمد على تدفق المياه، فهي إن توقفت توقف العمل، وبالتالي فإن أيام الشح قد تتوافق مع أيام المحاصيل، فيهدر القمح في انتظار المياه. بالنسبة إلى الكل كان هذا أمراً طبيعياً؛ فقوانين الانتاج هي قوانين طبيعية وليست إنسانية، وعلى الانسان أن يخضع لها. في وسط كل هذا، وكما عند خضوع الانسان لقوى الطبيعة والقدر، فإنه يذهب إلى اختراع الاساطير أو قوى خارقة. بدأ أن كرووزو في تفتيشه عن الآلة المتحركة الأزلية (perpetual motion machine) لا يتبع تلك النزعة إلى الاساطير، لكن يضيف على العلم شيئاً منها.

عمل عشر سنوات على ذلك، ولم يفلح لأنه ليس هناك آلة كهذه، وهي تخالف قوانين الديناميكا الحرارية

(thermodynamics). لكن كرووزو لم يعلم ذلك، لأن العالم لم يكن قد اكتشف تلك القوانين، فكان على العالم انتظار مجيء لودفيغ بولتزمان بعد حوالي مئتي عام ليشرح لنا لماذا لا نستطيع أن نخترع تلك الآلات؛ ومن ثم ينتحر.

بعد ذلك عمل كرووزو على استعمال الحرارة لدفع نماذج صغيرة للطواحين عبر البخار، وكان في طور اكتشاف المحرك البخاري. لكن قتله الطاعون قبل ذلك. أما إخوته فقد وجدوا بئراً ذات سائل أسود ففوح منه روائح كان يبدو أن كرووزو اكتشفه وأخفاه؛ فبحسب العلمي عرف أن ذلك السائل قد يبيعه إخوته ويتقاتلون عليه حتى قبل أن يعوا إذا ما كان ذا قيمة أو لا. وقد يحملونه إلى أميركا أو الهند أو الصين لبيعيه ويستبدلوه بالذهب، وبالتالي يغرقون في الأشياء ويسنون الزراعة؛ فكان أن أغلقها وتابع عمله.

بعد موته بعدة أسابيع، أتى إخوته وفكّوا الحظيرة ورموا آلات كرووزو وأوراقه، وحولوا الأقنان إلى الحفر والتجميع والتخزين والنقل، إلى أن أتى يوم تبين أن لا حاجة للعالم بعد بهذا السائل الأسود. فماتت الأراضي وتبعثر الأقنان؛ وكان كرووزو علم بما سيحصل، فبحسبته العلمي استشرّف هذه اللعنة.

لحسن الحظ سار التاريخ بمسار حديدي، فاخترع واتسون الآلة البخارية. وأتى كارل ماركس ليقول أجمل ما عنده "آلة الطحن اليدوية تعطيك الإقطاعي، وآلة الطحن البخارية تعطيك الرأسمالي". وكان بعد ذلك كل شيء.

اليوم في لبنان بدأنا نُعدّ أنفسنا لنرت وننفق ثروة طبيعية، لم تتأكد بعد، لأن كل ما جرى حتى الآن هو الاستكشاف عن بعد، وما زلنا في طور الاحتمالات: احتمال أن نجد النفط والغاز، واحتمال أن تكون هذه "الثروة" بكميات وأعماق اقتصادية، واحتمال أن يهتم الرأسمال العالمي بربحيتها، واحتمال أن نصل إلى كل ذلك قبل أن تنهي إسرائيل وقبرص واليونان أحلام اليقظة هذه، واحتمال ألا يتقاتل الإخوة اللبنانيون عليها، واحتمال أن لا تطل "لعنة الموارد" برأسها فلا نبدها وندمر ما تبقى من قاعدة علمية وإنتاجية في البلاد. في علم الاحتمالات، يؤدي كل هذا إلى سلسلة مضاعفة "قبيحة"، لأنها لا تبقى في النهاية شيئاً من أوهام تريد الرأسمالية اللبنانية أن توهمنا وتوهم نفسها بها لعلها تتخلص من أزمتها المرزومة باختراع وعود بتدفقات مالية لن تأتي أبداً.

مصارف

المصارف اللبنانية في العراق:

اقتطاع مؤونات بقيمة 90 مليون دولار

على تقسيط هذا المبلغ على دفعتين، تستحق الأولى وقيمتها 25 مليون دولار في نهاية عام 2016، على أن يُصار إلى حسم قيمة الرساميل المدفوعة سابقاً من المصارف اللبنانية منها، وتستحق الدفعة الثانية وقيمتها 25 مليون دولار مع نهاية عام 2017 (أي إنه في نهاية 2016 يفترض أن تكون قيمة رؤوس أموال المصارف اللبنانية العاملة في العراق 250 مليون دولار، وأن تصبح 500 مليون دولار في نهاية 2017). مع الإشارة إلى أن المصارف اللبنانية تفضل الإبقاء على الرساميل بالدولار وعدم تحويلها إلى الدينار العراقي، في ظل تقلباته المرتبطة بالأوضاع السائدة.

عدم اتخاذ المصرف المركزي العراقي حتى الآن أي قرارات إجرائية تتعلق بتعزيز الصيرفة الشاملة، الأمر الذي يحدّ من قدرة المصارف اللبنانية على تقديم الخدمات والمنتجات المصرفية التي تقوم بتقديمها في لبنان وفي بلدان أخرى، بحيث يقتصر نشاطها على فتح الاعتمادات المستندية للعملاء. (هذا يعني ارتفاع الكلفة مقابل مردود ضعيف نسبياً مع استمرار تراجع سعر صرف الدينار). غياب التنسيق بين البنك المركزي ورابطة المصارف العراقية بشأن إصدار التعاميم والقرارات.

مع مصارف المراسلة، فضلاً عن التزام متطلبات الملاءة والسيولة. هكذا بات المشهد أكثر سطوعاً. ففي العراق عشرة مصارف لبنانية لديها 21 فرعاً، وهي تواجه مشاكل عدّة مع السلطات النقدية العراقية عدّتها



**تعميم جديد
سيصدر قريباً في شأن
تمويل انتشار المصارف
في الخارج**



جمعية مصارف لبنان على النحو الآتي:
- انفصال البنك المركزي العراقي عن فرعيه في أربيل والسليمانية مالياً وإدارياً وتنظيمياً، ما يطرح مشكلة حول الاعتراف بالمبالغ المدفوعة من قبل المصارف اللبنانية في هذين الفرعين بالدينار أو بالدولار.
- قرار المصرف المركزي العراقي إلزام المصارف الأجنبية، بما فيها اللبنانية، بزيادة رأس مالها إلى 50 مليون دولار. إلا أنه تمّ الاتفاق مع السلطات والجهات اللبنانية المعنية

تعاني منها هذه المصارف هناك، والتي كبدتها خسائر مؤثّرة في ميزانياتها، ودفعت مصرف لبنان إلى اتخاذ قرار يفرض على المصارف اقتطاع مؤونات بقيمة 90 مليون دولار لتغطية أي خسائر محتملة في تلك السوق. بهذه الخلفية، كان كلام طريبه مفهوماً عن الحرص على الوحدات المصرفية العاملة في العراق الذي "يبدأ من مبدأ التعاون مع كل مكونات السلطات المالية والمصرفية العراقية ذات الصلاحية والعلاقة".

تعدّ وحدات المصارف اللبنانية في العراق الأكثر عدداً وانتشاراً ونشاطاً بين المصارف الوافدة، إذ إن محدودية العمل المصرفي المتاح للمصارف الخاصة في العراق تتطلب تطويرها في اتجاه عمليات تمويل التجار والمصدرين والمستوردين وتأمين خدمات ومنتجات جديدة ودولية. ما يعرّض هذه الصورة أن القطاع المصرفي في العراق لا يزال شبه بدائي، فيما بات عليه أن يواكب تطورات عالمية، لكون المصارف حول العالم صارت محكومة وملزمة بتنفيذ القواعد الدولية للائتمان وتجفيف القنوات المالية لتمويل الإرهاب ومكافحة تبييض الأموال والإسهام الجاد في منع التهرب الضريبي وسد منافذ أموال الفساد، مع إيلاء الأهمية القصوى لحفظ سلامة العمليات والتحويلات

محمد وهبة

افتتح حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، أمس، ملتقى العراق المصرفي الثالث، الذي نظّمته مجموعة "الاقتصاد والأعمال"، بالتعاون مع البنك المركزي العراقي ومصرف لبنان ورابطة المصارف الخاصة العراقية وجمعية مصارف لبنان. سلامة لم يتحدث بصورة مباشرة عن السوق العراقية وعن الصعوبات التي تواجهها المصارف اللبنانية هناك، بل كان له موقف عام من انتشار المصارف اللبنانية في الخارج. وفق سلامة، فإن المصارف اللبنانية تدير أصولاً في الخارج بقيمة 38 مليار دولار، منها 4 مليارات دولار رؤوس أموال، وبالتالي فهي تحتاج إلى مواكبة وفرها مصرف لبنان من خلال ضوابط تأخذ في الاعتبار "تطبيق النموذج المصرفي اللبناني في أعمالها في الخارج، لافتاً إلى أن قرب صدور تعميم من مصرف لبنان بشأن تمويل انتشار المصارف في الخارج "من إكمانياتها الخاصة من خلال إصدار أدوات تُصدرها بالعملة الأجنبية". أما طريبه، فقد كان أكثر وضوحاً حين تحدّث عن التعاون مع السلطات النقدية العراقية وعن تطوير العمل المصرفي الخاص في العراق. هذان العنصران هما من أبرز المشاكل التي

الذي تفرغ فيه آلاف الليترات المعبئة من الصرف الصحي يومياً، في منطقة مرتفعة ووسطية بين عرسال وقرى البقاع الشمالي، كاشفاً عن تهديد فعلي لبيئة المنطقة ومصادر المياه الجوفية. إلا أنه بالمقابل يؤكد "عدم توفر بديل حالياً"، وسط مساع حثيثة لإنهاء هذه المشكلة الكبيرة التي تهدد أبناء عرسال والجوار. يعلن الحجيري أن بلدية عرسال رصدت مبلغ مليار ليرة، ووضعت المشكلة في أولويات عملها، إلا أن المبلغ المرصود لا يكفي لشبكة صرف صحي وإقامة محطة تكرير، كاشفاً عن مساع واتصالات مع سياسيين ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وجهات دولية مانحة ومجلس الإنماء والإعمار "لمساعدتنا ودعمنا بتمويل مشروع إنشاء شبكة صرف صحي للبلدة مع محطة تكرير، بهدف معالجة المشكلة وعدم التسبب بأية أضرار وأمراض، سواء لعرسال أو لجيراننا في القرى المجاورة".

وعلى الرغم من الفترة الزمنية القصيرة التي بدأت فيها البلدية بإفراغ المياه المبتذلة في المكان، إلا أن الحفرة الكبيرة امتلأت بالكامل، بالإضافة إلى 4 برك أخرى، على مساحة ملوثة باتت تزيد على 15 دونماً، بحسب ما يشرح محمد رباح رئيس بلدية اللبوة لـ"الأخبار". يؤكد رباح أن "الوضع كارثي ويصعب وصف المخاطر الناجمة عن الكمية الكبيرة التي تفرغ في تلك المنطقة، وما تفرضه من روائح كريهة ومخاطر بيئية تهدد مصادر مياه القرى التي تفيد من مياه اللبوة وصولاً حتى القاع، وكذلك الأمر بالنسبة إلى نهر العاصي الذي ترفده ينابيع من اللبوة". ويطالب مؤسسات الأمم المتحدة "المسؤولة عن تمويل هذه الصهاريج بالتوقف عن تمويل نقل المياه المبتذلة وإفراغها بطرق عشوائية من دون التفكير بالضرر الذي سيطاول أهلنا وجيراننا في عرسال، كما أهالي اللبوة وحلبتا ومقرق، وصولاً حتى القاع، مناشداً الدولة ووزاراتها المعنية الإسراع في الكشف وإيقاف هذه العملية الكارثية ومعالجة مشكلة الصرف الصحي قبل تفاقم الأمور.

التهديد من جذوره، وبالتالي إقفال موقع الكوستا برفاً فوراً". أما الحديث عن مسؤولية تلوث نهر الغدير ومصبه في تراكم الطيور، فيُشير قديح إلى أن النهر ومصبه لم يُشكّل خلال السنوات التي مضت عنصراً جاذباً كافياً، لافتاً إلى أن ظاهرة الطيور تزامنت مع بدء العمل بمكب الكوستا برفاً ونقل آلاف الأطنان من النفايات المحتوية على مكونات قابلة للتحلل والتعفن. وبحسب تصريح فنيانوس الذي أدلى به أول من أمس، بعد ترؤسه اجتماعاً في المديرية العامة للطيران المدني، من المقرر أن يعقد اليوم اجتماعاً مع وزير البيئة طارق الخطيب لوضع الخطط النهائية والتفصيلية لهذا الموضوع.